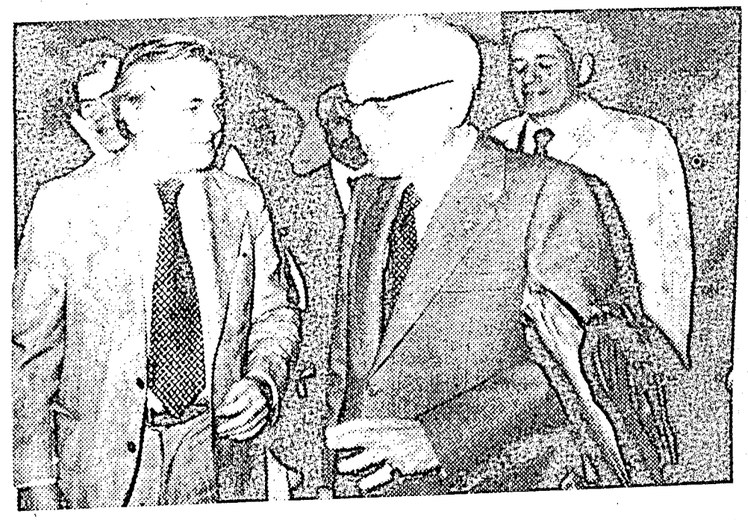

الهدف الحقيقي لمهمة المبعوث الاميركي

جاء براون ليقطف ثمار الضغوط المتعدّدة الاطراف على الثورة الفلسطينية

بقلم : عدنان بدر

اذا اخذت الازمة اللبنانية من خلال ظواهرها الخارجية ، في المرحلة الدقيقة الحالية ، فان صورتها تبدو شديدة الغموض ، ويستحيل التفريق بين الخيط الاسود والخيط الابيض ضمن هذا التعدد والتداخل فيما بين مجموعة الاطراف والعناصر التي تدور في دوامة هذه الازمة ..

ولذا فان محاولة لفهم الوضع الحالي بمتطوراته واتجاهاته وتداخلاته الاساسية ، لا بد له من شرطين أساسيين :

الاول : هو العودة الى المقدمات الاساسية ..

والثاني : هو السعي لفهم نوايا الاطراف وأهدافها ، من خلال مصالحها الحقيقية ، وليس من خلال المظهرية التي تتجلى في مواقفها الآنية .. هنا أو هناك ..

بالنسبة للمقدمات الاساسية التي تقوم عليها هذه الاحداث الدموية المتواصلة منذ ما ينوف عن العام .. أصبح من المسلم به تقريبا أنها كانت وليدة التعارضات التالية :

١ ـ التناقض الداخلي اللبناني .. حيث لم تعد هذه الدولة الرجعية المتخلفة ـ حتى بشهادة أصدقائها ـ قادرة على الاستمرار في وظيفتها كأداة حكم للتحالف الاقطاعي ـ البرجوازي ـ الكومبرادوري ، ليس فقط من حيث قدرتها على مجابهة نهوض الحركة الشعبية التي دفعهاتفاقم أوضاعها الحياتية في ظل تعاظم وتيرةالاستغلال، للانتفاض بكافة الاشكال والاساليب ، فحسب .. بل حتى من حيث قدرتها على المواءمة والملاءمة فيما بين مصالح أطراف التحالف الرجعي المذكور أعلاه ، والمثال على ذلك هو التناحر الحاد الذي برز خلال العهد الحالي بصورة جلية فيما بين البرجوازية الصناعية والبرجوازية التجارية الكومبرادورية .. ذلك التناحر الذي عبر عن نفسه في معركة المرسوم ١٩٤٣ ..

اذن .. في وجه نهوض الحركة الجماهيرية ، ونضالاتها المتعددة الاشكال ، وفي وجه التعارض الواضح فيما بين مصالح التحالف الرجعيالحاكم، مع غض النظر عن مواجهة مفرزات أزمة المنطقة المضافة الى ذلك كله ، أصبحت هذه الدولة الرجعية المتخلفة عاجزة عجزا كليا عن الاستمرار في الحكم ، أو على الاقل في تنفيذ مهماتها كأداة للحكم في أيدي تحالف طبقي معين .. فلا هي قادرة على تحقيق مصالح الجماهير ، بحكم تكوينها الطبقي الرجعي ، ولا هي قادرة على حماية استمرارية الاستغلال الاحتكاري الممسك بخناق تلك الجماهير .. في نفس الوقت الذي كانت فيه عاجزة أيضا عن احداث نوع منالعصرنة في أجهزتها وادارتها وهيكليتها يتلاءم الى حد ما مع الالية الحديثة للحياة الاقتصاديةوالاجتماعية والثقافية التي تلمست طريقها الى حياة المجتمع اللبناني ..

من هنا بدأت كل طبقة في هذا المجتمع تفرز وسائلها الخاصة لحماية نفسها في هذا التعارض الصدامي المحتم .. فكانت الفاشية المعبر عنها بالميليشيات الخاصة أداة الطبقة البرجوازية الكومبرادورية الاحتكارية (ليس من قبل المصادفة أن جميع أعضاء المكتب السياسي لحزب الكتائب ـ الحزب الفاشي الرئيسي ـ هم رؤساء مجالس ادارات أو أعضاء في مجالس ادارات العديد من الشركات الكبرى في هذا البلد) .. في حين كانت الاحزاب الوطنية والتقدمية أداة الجماهير الشعبية .. (ويلاحظ بالفعل أن هذه الاحزاب قد شهدت في الاعوام الاخيرة اتساعا تنظيمياواسعا، تزيد وتيرته بنسبة كبيرة عما كانت تشهده في المراحل السابقة) ..

وكان الصدام بين الفاشية والاحزاب الوطنية والتقدمية ، هو البعد الاول والرئيسي في الوضع اللبناني المتأزم والمتفجر عشية أحداث صيدا .. التي عبرت بشكل رمزي دقيق عن طبيعة هذا التعارض بين مصالح الصيادين الفقراء وبينمصالح شركة احتكارية كبرى استولت على امتياز للصيد على طول الشاطيء اللبناني .

واذا كانت الجماهير والاحزاب الوطنية والتقدمية قد وجدت حليفا طبيعيا لها في حركة المقاومة الفلسطينية ، في حين أن الطبقة الاحتكارية ومفرزاتها الفاشية وجدت حليفا طبيعيا لها في القوى الامبريالية والصهيونية والرجعيةالعربية.. فما ذلك الا لان التعارض الاول (أي التعارض اللبناني الداخلي) يقع ضمن وعلى تماس مباشر مع التعارض الثاني الذي يشمل المنطقة كلها ، ويتجلى بشكل كثيف جدا على الساحة اللبنانية .

٢ ـ انه التناقض بين مؤامرة التسوية،المتسللة في ظلها أشرس هجمة امبريالية صهيونية رجعية على المنطقة ككل ، وبين الجماهير العربيةوحركتها التحررية الوطنية ، وفي مقدمتها حركة المقاومة الفلسطينية .. فمشروع التسوية ـ الهجمة ، بعد خطواته المتلاحقة ، ليس على الجبهات العربية فحسب ، بل وفي داخل عواصمها (الاتجاهات الارتدادية الشاملة على كافة الاصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، الوطنية والقومية) .. فهذا المشروع قد وصل الى المحطة الفلسطينية ، حيث جوبه بعقبتين :

الاولى : هي وجود قوى رافضة للتسوية بصورة كلية ، يدعمها موقف شعبي واسع كما تلتقي معها أوساط قاعدية واسعة في كافة منظمات المقاومة .. وتلتقي هذه القوى في نفس الخندق مع قوى ثورية ووطنية تقدمية عديدة في الوطن العربي ، كما تلقى ارتياحا ودعما من قبل أوساط جماهيرية عربية واسعة .. ان هذهالقوى لا تشكل عقبة أمام مشاريع التسوية فحسب ، بل وأمام أي اقدام فلسطيني على القبول بهذه المشاريع .. الامر الذي يزيد من صلابة العقبة الثانية .

والثانية : هي أن الحيز المعطى للطرف الفلسطيني في كل مساعي التسوية المطروحة عمليا على الساحة ، يبلغ من الضيق حدا ، لا يستطيع معه حتى أكثر أطراف المقاومة مرونة تجاه هذا الموضوع ، أن يقبلوا به ، وقد عبر عن ضيق هذا الحيز استخدام الولايات المتحدة لحق الفيتو ضد مشروعات معينة في مجلس الامن ، كانت تبدو وكأنها خطوة على طريق التسوية .. لكنها تشتمل على مساحة فلسطينية أوسع قليلا من الحيز المقبول حتى الان أميركيا واسرائيليا وهاشميا ..

في مواجهة هاتين العقبتين ، لم يكن أمام القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية ، من مجال سوى التآمر لتصفية القوى الثورية والرافضة في حركة المقاومة الفلسطينية : وتحجيم منظمة التحرير ككل بحيث يتسع لها ذلك الحيز المذكور ..

وفي سبيل الوصول الى هذا الهدف ، كان الدعم الامبريالي الصهيوني الرجعي لمؤامرة الفاشيين في لبنان ، من أجل توجيه ضربة عسكريةواسعة للحركة الوطنية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية .

وكاحتياط ، لمواجهة احتمال فشل هذه المؤامرة، جرى الرهان على الجيش اللبناني كقوة عسكرية حاسمة تنزل الى الساحة في الوقت الملائم واللازم ..

ولم يكتف المخطط التآمري باعداد المخطط والادوات اللازمة لتوجيه هذه الضربة ، بل تعدى ذلك الى اعداد الاوعية اللازمة لقطف ثمارها .. حيث كانت الصيغة الاردنية ـ السورية ـ الفلسطينية ، المعادلة الجاهزة لهضم تلك الثمار .. على أساس أن المقاومة تحت ضغط الضربة العسكرية الواسعة في لبنان ، سوف تصبح بالضرورة في حاجة ماسة « للانقاذ » الآتي من دمشق ، فيسهل على ذلك « الانقاذ » وضعها تحت جناحيه في معادلة التفاوض الاردنية ـ السورية ـ الفلسطينية المشار اليها أعلاه ..

السياق العملي

هذا عن منطلقات الاحداث ومقدماتها الاساسية، وبعديها اللبناني والفلسطيني ، أما من حيث مسارها ، فبات معروفا ان الفاشيين فشلوا في تحقيق هدفيهم الرئيسيين : ضرب الحركة الوطنية وتحجيم حركةالمقاومة .. ولما دعي الجيشاللبناني لممارسة دوره الاحتياطي المرسوم انبرى من صلبه « جيش لبنان العربي » المتمرد على المؤامرة وعلى الدور ، وانحاز الى صف الجماهير ضد الفاشيين داخل السلطة وخارجها ، وصار جزءا أساسيا في بناء صمود تلك الجماهير بدلا من أن يكون في صف القوى المتآمرة على ذلك البناء .

وهكذا فشلت قوتا المؤامرة الرئيسيتان : القوة الفاشية الصدامية ، والقوة العسكرية النظامية الاحتياطية .. وعلى حطام هذه المؤامرة ، جرى تكليف النظام السوري بمهمات احتياطية ، أفقدته القدرة على لعب دور « المنقذ » المرسوم فبدلا من أن يلعب دور « المنقذ » للمقاومة ، أو بالاحرى لما يكون قد تبقى منها بعد نجاح مؤامرة الفاشيين ، صار عليه أن يلعب دور المنقذ لاولئك الفاشيين ونظامهم المتداعي . وبهذا الدور الجديد وضع نفسه مكشوفا في موقع التعارض مع المقاومة والحركة الوطنية ، وفقد القدرة على انجاز مهمة الاحتواء الاصلية . الامر الذي أدى من الناحية العملية الى فشل ما سمي بالمبادرة السورية .

ومع فشل تلك المبادرة ، وجدت الامبريالية الاميركية نفسها وجها لوجه ليس أمام فشل مؤامرتها الكبرى والرئيسية في سياق مساعيها التسووية التصفوية في المنطقة ، بل وأمام نتائج لهذا الفشل تهدد كل المعادلات والموازين التي قامت عليها مساعي التسوية ، وتسللت منداخلها عملية الاطباق الامبريالي الجديد على المنطقة .

الحضور الامبريالي المباشر

وفي مواجهة هذا الوضع الجديد ، لم يعد في أيدي الامبريالية الاميركية أية قوة احتياطية ، يمكن استعمالها بنجاح ودون محاذير ، لاتمام ما عجز الفاشيون عن تنفيذه .. فتدخل اسرائيل المباشر ، أو تدخل القوات الاميركية نفسها في لبنان ، في ظل الوضع العالمي الراهن ، وحتى الوضع الداخلي الاميركي ، لا يمكن أن يؤدي الى النتائج المطلوبة ، بل على العكس من ذلك يزيد من المخاطر التي تتعرض لها المعادلات والموازين التي تكمن مصلحة كبرى للامبريالية في الحفاظ عليها ..

وهنا سارت أطراف عديدة لانقاذ ما يمكن انقاذه :

● الملك حسين يغادر الى واشنطن بعد زيارة سريعة لدمشق .. ليطرح على الحكومة الاميركية، ضرورة السماح بتدخل سوري واسع في لبنان .

● أكثر من مبعوث سوري يطير الى السعودية .

● كيسنجر يستدعي سفير أميركا السابق في

القذافي يؤكد وقوف ليبيا الى جانب القوى الوطنية

أعلن الرئيس الليبي العقيد معمر القذافي في خطاب القاه في منطقة زليطن بان الجمهورية العربية الليبية وقفت مع القوى التقدمية في لبنان وهي على استعداد الان للوقوف مع القوى الوطنية وعلى رأسها « جيش لبنان العربي » .

وأضاف : ان الصراع في لبنان هو صراع ثوري بين القوى الوطنية وبين اعداءالشعب اللبناني . وأكد ان ليبيا تقف بكل قوة ليحسم الصراع لصالح القوى الوطنية ،كما أعلن رفض بلاده التدخل في الشؤون الداخلية للبنان من أي قوات اخرى،ورفضها كذلك ان يسلم « جيش لبنان العربي » سلاحه حتى لا يكون اعزل في مواجهة قوى اليمين .

● وفي بغداد طالبت صحيفة « الثورة » العراقية بان « ترتفع الاصوات التقدمية العربية والعالمية عالية بالاستنكاروالتصدي لدور النظام السوري في لبنان لكي تتمكن القوى التقدمية والوطنية من تأمين مستلزمات النهوض على كل الساحة العربية » ودعت الصحيفة الى « نفض غبار التردد والحيرة والعمل بقوة لمواجهة الهجمة الامبريالية في لبنان » .